

المستوى الثقافي

• وانعكاساته على التنوع المنطوق

أ. عبد الحميد بسعيد

جامعة أدرار

يقرر الدارسون أن هناك خمسة عناصر أساسية يمكن اتخاذها معيارا لتصنيف البشرية الى أمم. هذه العناصر هي: الجنس المشترك (أو الأصل) والدين والقومية واللغة والثقافة. فللغة والثقافة بوجه خاص دور بارز في هذا التصنيف والتحديد، وهما بمثابة المرآة العاكسة لكل أنواع النشاط الإنساني في هذه الأمة أو تلك وهذا المجتمع أو ذاك.

يقر أهل الاختصاص أن المستوى الثقافي والمستوى اللغوي عاملان متشابكان يؤثر كل واحد في الآخر، فكلاهما مرآة عاكسة للمستوى المكتسب، تجدر الإشارة هنا إلى أننا سوف نعتبر الثقافة شيئا مكتسبا لا فطريا على عكس ما يظهر من خلال الدراسات المتعلقة بالثقافة والطبيعة أين يرى هذا المذهب أنها امتداد لفطرة وطبيعة الإنسان لكننا

واعتبارا للدرس والبحث السوسiolساني والانتروبولساني أينا إلا أن نحدد مصطلح الثقافة الذي عرف على انه : " حالة تعترى مجتمع ما من خلال حياة اجتماعية مشتركة بما في ذلك اللغة والتقاليد والعادات " وفي السياق نفسه عرف الانتروبولوجي البريطاني " إدوارد تايلور⁽¹⁾ " Edward Taylor الثقافة على أنها ذلك الجمع المعقد الذي يضم المعرفة ، والمعتقد ، والفن ، والقانون ، والعرف ، والعادات المكتسبة من قبل الفرد كعضو في المجتمع .

« That complex whole which includes knowledge , beliefs art , law custom and any other capabilities and habits acquired by human as member of society »

فالثقافة جزء فعال في تحديد اللغة أو المستوى اللغوي للمتكلم ، لذلك كان لزاما علينا أن نكمل هذه النظرة بإظهار الأهمية الخاصة لكل من اللغة والثقافة في مجتمعتنا العربية، ذلك أن وضعيتهما ومركزهما يختلفان عن نظيريهما في المجتمعات الأوروبية .

و من خلال هذه الدراسة سوف نعرض لأمر بغاية الأهمية ولا طالما كان محل دراسة و نقاش أين سنثبت وننفي في الوقت نفسه بعض الآراء التي أقامها القدامى ، فمنهم من ينفي علاقة اللغة بالثقافة ويرى أنها علاقة غير متجانسة لا بل يذهب إلى حد بعيد حتى ينعته بأها - أي اللغة والثقافة - بناء ينقصه التجانس والانسجام وحتى التكامل ، فبنيتة هشة وفي مادته اضطراب وتنافر.

و المؤكد ان اللغة المنطوقة تتميز بتعدد اللهجات و من ثم فثقافتنا القومية لم تنج من هذا التباين فأصبح الخلط هو الميزة الغالبة لثقافتنا ، فتعددت الثقافات وصرنا نسمع بثقافة الخاصة ، وخاصة الخاصة وثقافة العامة وعامة العامة¹ " طبعاً كله فضلاً عن ثقافة المقاهي وأهل الشارع وكذا ثقافة الباعة وأصحاب الحرف والصناعات ، هذه الحقائق

تدفعنا إلى استخلاص فكرة أساسية مفادها أن التعددات الثقافية ، والتوجهات المختلفة تبعد مسارات السلوك الثقافي واللغوي ، ومن ثم يصعب الالتقاء والتناسب بين كل من الثقافة واللغة .

أما أصحاب التوجه الثاني فيرون عكس ذلك ويقولون أن الثقافة واللغة وجهتان لعملة واحدة ، تؤثر الواحدة في الأخرى لما لهما من جوار وقراءة مما يجعل اللغة فعلا مرآة عاكسة ينظر ويقيم من خلالها المجتمع المستوى الثقافي للمتكلم ، وهذا ما يقره علماء الانثروبولوجيا اللسانية أمثال : فرانز "Franz Boas" ساير "Sapir" وورف "Whorf" و "هاري هوجر" "Harry Hoijer" .

فلقد أقر الأول أنه لا يمكن فعلا التعرف وفهم ثقافة ما دون أن يكون لك قرب مباشرة أو على الأقل فهم لغة هذه الأمة.

"He argued that one could not really understand another culture without having a direct access to its language"²

أما "ساير" "Sapir" وتلميذه "ورف" "Whorf" فينعتاها بفرض "ورف" "Linguistic Relativity" ويقر بان طريقة التفكير في العالم الخارجي متأثرة باللغة التي نتكلمها والمقصود بالعالم الخارجي ، الثقافة ، الدين ، القومية ، المعتقد الخ . ومن ثمة يتجلى أن الإنسان تحت رحمة اللغة التي يتكلم بها :

"One of the strongest statements of the position that the way in which we think about the world is influenced by the language we use to talk about it...humans are actually at the mercy of the particular language they speak"³

هذا الاتجاه قد سبق أن أقره من قبل الدبلوماسي الألماني "Wilhelm Von Humboldt"

حين أثبت أن كل لسان يعكس الثقافة التي ينتمي إليها .

"Each tongue draws a circle about the people to whom it belongs"⁴

أما "هوجر" "hoijer" فيمزج بين اللغة و الثقافة و يرى بأنهما متداخلان بعضا في البعض و يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يرى انه يجب التفكير في اللغة داخل الثقافة و ليس اللغة و الثقافة .

"One should think of language in culture and not just of language and culture"⁵

أضف إلى ذلك يمكن القول أن اللغة تربط الفرد بماضيه ، حاضره ، ومستقبله على حد سواء و في هذه الحالة تمثيل دائم و ثابت للعالم ، وإذا كانت اللغة فعلا كما يقره "مالينوفسكي" "Malinowski" و الطريقة التي نتكلم بها تعكس حقيقتنا ووضعيتنا في هذا العالم كما يرى "سابير" "Sapir" وتلميذه "وورف" "Whorf" فمعنى ذلك إن التواصل اللغوي هو جزء من الحقيقة المعاشة بكل ماتحمله هذه الكلمة من دلالات ، يمثل ، يفسر ، ويدل على الثقافة التي ينتمي إليها⁶ .

أما إذا كانت اللغة - كما يرى "ويتغنشتاين" "wittgenstein" - "شكل من الحياة" فالميزة أن تكون لك لغة لا يعني فقط أن يكون لك أداة للتعبير عن أحداث بطرق معينة ، وإنما يعني كذلك أن تكون لك القابلية للتفاعل مع هذه الأحداث تؤثر فيها و تتأثر بها ، ولذلك بالأخص فإن مسألة طبيعة اللغة و تفاعلها مع الثقافة بالنسبة للغويين الانثروبولوجيين لا يمكن فصلها من مسألة استعمال اللغة من قبل أفراد و في وقت معين ، اعتبارا أن دراسة اللغة هي دراسة تاريخية تتمركز حول وقت معين ، وهذا الأخير يعد بعدا أساسيا في الدراسات اللغوية السيكلترونية الحديثة⁷ .

إنه من غير اللائق أن نطوي هذا التوجه الثاني المتعلق باللغة و الثقافة دون أن نتحدث ، أو نعطي على الأقل لمحة عن آراء المختصين في تعليمية اللغات وخاصة الأجنبية من حيث يرون أنه من الواجب أن نتعلم اللغة وثقافتها معا ، فاللغة الانجليزية على سبيل المثال لا الحصر يجب تدريسها داخل ثقافتها فنقول Mr Smith وليس Mr Rafik أو Mr Karim كما حدث ذلك في بعض الكتب الأولى لتعليم اللغة الانجليزية ، أين يقولون Mr Dahane وإنما يجب القول The Painter.

على الرغم من التضارب و التباين بين التوجهين إلا أنه لا يمكن إغفال أو إنكار تأثير و تأثير كل من اللغة و الثقافة فيما بينهما ، لكن التساؤل الذي تبادر إلى ذهن الباحث هو كيف لنا أن نبين العلاقة بينهما ؟ طبعاً لا يمكن لنا ذلك إلا إذا قمنا ببحثا مستقلة تنصب حول دراسة البناء اللغوي للمجتمع بميزاته ، وخصائصه ، وأبعاده ، و صورته ، ومن ثمة التدقيق في النشاط الثقافي لهذا المجتمع ، و بهذا النحو يمكن لنا أن نخرج بنتائج عملية دقيقة لذلك سوف ننطلق من فكرة نفني أولا ثم نثبت الحقيقة الإشكال اللغوية - وبدرجة اخص المنطوق - بأبعادها و تلازماتها الثقافية .

اللغة ليست فقط " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " ⁸ كما عرفها ابن جني و إنما تتعدى في ذلك المنظور الضيق ، في حقيقة الأمر وجوهره ؛هي تجسيد حي لكل معارف الإنسان وخبرته ومن ثمة هي دليل هويته الثقافية التي تكشف عن المكبوت و الواقع الحقيقي في صورة أحداث فعلية من أصوات ، و طرق النطق ، و المفردات ، والدلالات ، وما إلى ذلك من معاني ، هذا بالإضافة إلى نسج هذا الكلام حسب سياق و غط الكلام المتعارف عليه داخل الجماعات اللغوية حتى المنهجية .

ومن هنا فإننا متفقون في أنه لسان واحد ألا وهو " اللغة العربية " لكن ومع ذلك تختلف اختلافًا في التحقيق المادي لهذا اللسان وهذا ما يبرز من خلال ما يجري في المجتمع العربي من تعدد في اللهجات.

وهذا الاتفاق و الافتراق في البيئة اللغوية ينطبقان بصورة أو بأخرى على الوضع الثقافي لهذه البيئة لما لهما من العاملين

من تداخل - رغم الانتقادات و محاولة الفصل بين الوجهتين - فلاحظ اتفاق في الثوابت و اختلافًا في المتغيرات، بعبارة أخرى نلتقي في الجواهر و نختلف في الأداء اللغوي و التعامل الثقافي ، " فالقيمة الثقافية المعينة قد يكون متفقا عليها في بيئة اجتماعية ما ، و لكنها تختلف فيما بين أفراد هذه البيئة في التحقيق المادي ، فالملبس مثلا ذو معنى متفق عليها هي الوقاية و الزينة و ستر العورة و لكنه يختلف هنا وهناك من حيث صورة ، وأشكاله و ألوانه ، وتقديره ، وتفصيله " ⁹.

لكن هذا الضرب أو النحو من التفكير في علاقة اللغة بالثقافة يؤدي بنا إلى طريق مسدود بل هو تحصيل حاصل ، فالأبوة مثلا قيمة لغوية ثقافية ، و لكن يعبر عنها و تؤدي في مجتمعنا بصور متعددة ، فهناك " دادي و بابي و بابا و بي و با " إلى جانب الصيغتين " أبي و والدي " ¹⁰.

فيما يجب التفكير به الآن هو إثبات تلك العلاقة القائمة بين اللغة و الثقافة لان الآراء السابقة الذكر تنصهر و تذوب أمام فكرة أن احدهم يستطيع أن يحكم على ثقافة الآخرين اعتمادا أو من محصوله اللغوي ، الذي عادة ما يعبر عليه بألفاظ أو أداء صوتي ، أو كما سوف نثبت لاحقا طريقة نطقه ، فالطريقة أو الأداء الكلامي عادة ما يستمد من

مخزون العقل و نفسية أو هوية المتكلم ، أي من محصوله المعرفي ، والثقافي ، وهذا ما هو ثابت في المجتمع الانجليزي مثلا " لسانك هو أنت " إنتاجه اللغوي و حتى المنهجي .
و على الرغم من الارتباط القائم بين كل من اللغة و الثقافة و الذي يتوقف على درجات الاختلاف اللغوي و الثقافي معا كما هو جلي في المجتمع العربي و الانجليزي ، فتعدد و اختلاف اللهجات في المجتمعات بصفة عامة و المجتمع العربي بصفة خاصة خير دليل على تنوع ثقافتنا .

هل لهجة الفرد تتحدد بمستواه الثقافي ؟

لكن الطرح اللساني و الهدف الذي نحن بصدد البحث و الوصول إليه هو كيف أن لغة الفرد أو لهجته تتحدد بمستواه الثقافي ؟ سؤال من هذا النوع كان ولا يزال مصب اهتمام الباحثين القدامى و المحدثين على حد سواء ، و لذلك السبب يجب علينا الانطلاق من فكرة أن اللغة ليست إلا أثرا من أثار عقلية المجتمع أو إشعاع من بين الإشعاعات الثقافية الموجودة داخل المجتمع ، فهي مرآة عاكسة لثقافة مجتمع ما .
إذا كان هذا السؤال و في هذا المستوى من الطرح يحتاج لأراء وجهود ، و أبحاث اللغويين و علماء الاجتماع اللغويين ، و الانتربولوجيين ، علماء الثقافة ما ، و ذلك للخروج بإجابة علمية دقيقة لهذا التساؤل .

إن الدراسات اللغوية التي أقيمت في هذا الحقل تشير إلى انه في العالم العربي يحوي خمسة مستويات رئيسية ، فهناك الفصحى الأصلية و المتمثلة في النثرات الفكري و الحضاري و الثقافي و الأدبي ، وهناك ما يطلق عليه ، بالعربية المعاصرة و هي لغة المثقفين و رجال العلم ، وهناك لغة الإعلام — كانت منطوقة أم مكتوبة — وهناك عامية

عامة المثقفين في حياتهم اليومية ، وهناك اللسان الدارج العام و ما يتشعب عن هذا الأخير من لهجات و أشكال محلية خاصة بالمجتمع أو بالمهنة .

هذا التباين و التعدد اللغوي ينجر عنه "التلوث الثقافي" الذي أصيب به المجتمع العربي في السنوات الأخيرة من جهة أخرى ، كان له أثر واضح في التلوث اللغوي ، وهذا ما نلمسه عند أصحاب الفن من مسرحيات ، وأفلام و أغاني جاءت في مجملها بلهجة دنيئة مبنى ومعنى، و الاختلاط الثقافي الذي جاءت به الوفود أو الجاليات الأجنبية التي كان لها أن تشتغل في حقول شتى داخل المجتمع العربي وما تحمل هذه الجاليات من خلط في الأفكار و التوجهات و الرؤى .

لقد أجاب ادوارد سابير "Edward Sapir" حين سئل عن علاقة اللغة أو أي شكل لغوي بثقافة المتكلم قائلا " ربما يسلم معظمنا - فيما اعتقد- بان لغة المجتمع البريطاني و الأمريكي لا يمكن الادعاء بأنها تمثل مجتمعا ثقافيا واحدا ثم يشير إلى العوامل الجغرافية و السياسية و الاقتصادية التي تحول دون ذلك "11.

أما عن العلاقة القائمة بين اللغة و الثقافة العربيتين " فيرى البعض أن لهم ثقافة مشتركة شديدة الارتباط بعوامل جغرافية ، وسياسية ، واقتصادية ، وكذا تاريخ مشترك "12 أما البعض الآخر فيرى أن العرب يتكلمون اللغة العربية الفصحى ، ولكن بلهجات محلية مختلفة من قطر لآخر تعكس الثقافة المحلية القائمة في منطقة ما ، مما يفسر وجود ثقافات مختلفة تبعا لتعدد الأقطار¹³ فتربية الأبناء ، أو حفل الزفاف في لبنان يختلفان كل الاختلاف عن مثلهما في مصر و الجزائر مثلا .

لكن هذا التوجه الثاني قد ووجه بكثير من الانتقادات الحادة ، ويرى أصحاب هذا التوجه أن المجتمع العربي و الأمريكي ثقافتين و لغتين مختلفتين و من ثمة يجوز لنا أن

نتمثل بالعلاقة الوثيقة بين الثقافة و اللغة ، إلا أن التباين القائم بين الثقافات داخل كل من المجتمع الانجليزي و الأمريكي و الاسترالي الذين تربطهم لغة واحدة دفع بالعديد إلى اعتبار عدم تناسق و تلازم الثقافة باللغة .

و لقد سبق ل "Sapir" "ساير" أن أوضح أن هذه المعادلة التي يرى البعض أنها غير متلازمة فقال : "إن اللغة ، والجنس ، و الثقافة ليست بالضرورة متلازمة ، غير أن هذا لا يعني أنها لا تتلازم أبدا " ¹⁴ .

وهناك نقطة أخرى بغاية الأهمية تدفع الباحث في هذا الميدان للإشارة إليها ، هي أن التعبير الثقافي يستغرق وقتا محدودا حتى يتجلى و يظهر أثره ، أما التباين اللغوي فقد يستغرق حقبة زمنية كبيرة قد تصل إلى قرون ومع ذلك يصعب ملاحظة ذلك التباين ، و الغالب أن السبب هذا بالضبط هو الذي دفع بالبعض إلى اعتبار إن المجتمع الانجليزي ، والأمريكي، و الاسترالي مجتمعات مختلفة ثقافيا و لكنها موحدة لغويا، على الرغم من كل ذلك فإننا نسمع باللغة الانجليزية البريطانية، و الانجليزية الأمريكية، و الانجليزية الاسترالية، ... الخ كان عن قصد لأنها مختلفة ثقافيا من جهة ، و تعقيا عن أولئك الذين يرون أن الانجليز و الأمريكيين أمتان مشتركتان بلغة واحدة ، من جهة أخرى .

فالنتيجة الناتجة من تباين هذه الآراء هي أن هناك ارتباطاً بصفة أو بأخرى بين اللغة و الثقافة حتى ولو لم يكن ارتباطا وثيقا وطيدا ، إلا أن الأشكال اللغوية من لهجات وطرانات ، وتنوع أو تعدد في المنطوق تتفاعل فعلا مع الثقافة و العكس كذلك .

• مراجعة: أ.د. بن موسات بومدين

¹ - نفسه ص 239

²⁻ Alessandro Duranti. Linguistic Anthropology, Cambridge University Press. Cambridge.1997.P52

³ - نفسه ص 336.

⁴ - نفسه ص 336

⁵ - نفسه ص 336

⁶ - E. Chaika. Language, The Social mirror.USA.1982.P87

⁷⁻ Alessandro Duranti. Linguistic Anthropology, Cambridge University Press. Cambridge 1997 p336

⁸ - الخصائص . ابن جني أبو الفتح عثمان . دار الكتب القاهرة . 1952. ج 1. ص 33.

⁹ - علم اللغة الاجتماعي . د. كمال بشر . دار غريب للطباعة والنشر . القاهرة . ط 3 . 1997. ص 238.

¹⁰ - نفسه. ص 238.

¹¹ - مدخل إلى اللغة . د. محمد حسين عبد العزيز . دار الفكر العربي . 1988. ص 185.

¹² - نفسه. ص 186.

¹³ - علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياها . د. صبري إبراهيم السيد. دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية .

1995. ص 126.

¹⁴ - نفسه. ص 127.

المراجع باللغة العربية :

1- الخصائص. ابن جني أبو الفتح عثمان، دار الكتب. القاهرة. 1952. ج 1. ص 33

2- علم اللغة الاجتماعي. د. كمال بشر. دار غريب للطباعة و النشر. ط 3. 1998. ص 235. 238. 239

3- علم اللغة الاجتماعي مفهومه و قضاياها. د. صبري إبراهيم السيد. دار المعرفة الجامعية. اسكندرية. 1995. ص 126

4-مدخل الى اللغة. د.محمد حسين عبد العزيز. دار الفكر العربي. 1988. ص185

المراجع باللغة الانجليزية :

1-Alessandro Duranti.Linguistic Anthropology.
Cambridge University Press.Cambridge.1997.p52 /336/341.

2-E.Chaika.Language,the social mirror,USA.1982.p87.

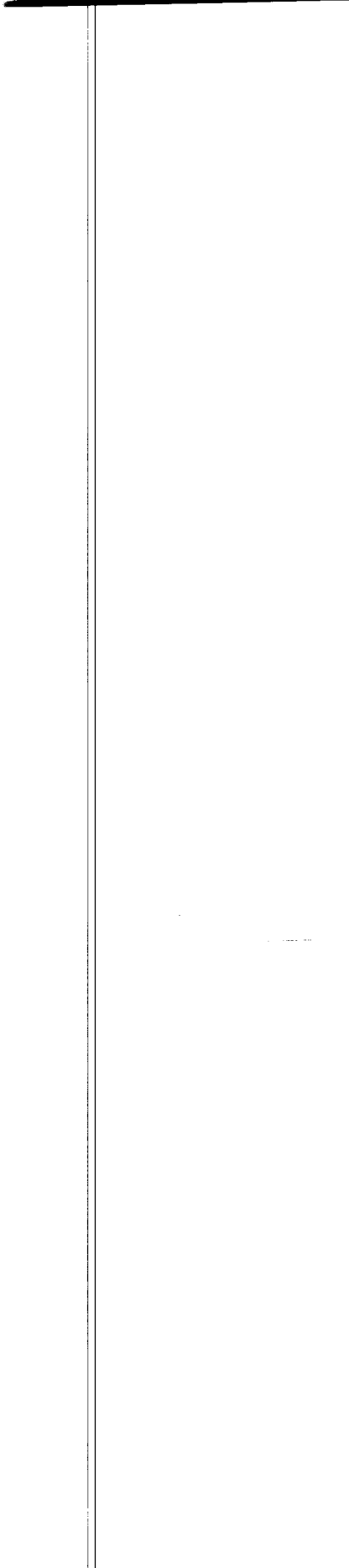
3-Edward Taylor. Language, Culture and Communication. 1972. p102.

من وحي العربية
للائظم خالد خوجة بغدادي الخالدي الجزائري
المولود في فرندة - تيارت -
(تقدم الخبر وجوبا)

قد قدموا للابتدا حتما خبر	مخى اللقا ؟ أين الكتاب ما الخطر؟
وكيف أمر من قضا إذا قدر	وكم فتى في حينا يا منتصر
وكم تكون خيرا مقدما	حكم قليل والكثير قد سما
وقال سيبيويه فيها مبتدا	وذا شذوذ عنده في المبتدا
أو خبر عند الفرندي يعلم	كل صحيح عندهم منتظم
مضاف كم يقال فيه مبتدا	كخال . كم طفل أنا بالمنتدى
خيركم منكر أن مبتدا	فسيبيويه قال ذا في الابتدا
بظرف وقت أو مكان خبروا	وعلقا بالكون فهو مضمير
كالיום خمرو غدا منتظر	لمصطفى صفر كذاك حيدر
لدي عند تحت فوق بينها	أمام خلف وسط قرب دارها
وبعد ظرف مبتدا قد سبكا	كعندكم أني محاب مشركا
و خوف لبس جاء حتما أولا	كفي اعتقادي أن لصا قتيلا
وجاء صنف للإشارة استعلا	فقدموا على الرفيق أولا
كثم داري أو هناك دارها	حببتي ثم مكان جارها
وقيل بالتعريف جـوز أولا	وان تنكر خيرا لا تفعللا
وإن تعداء فبني من مبتدا	على السني صار إليه مسندا
كعند شايخ أخوه المقعد	وعند مرتاض أخوه المبعد

وأريعا خذها سماعا شارده
ظننا وحقا غير شك أعلمنا
لاتنس من يقول من محمد
قدم وجوبنا إن نكرنا المبتدا
وقد أتى قصر كذا في المبتدا
واقصر بانما وما وجـر
ونحو ما في الدار إلا نارما
وكونه جـرا أتى بعدهما
وبعد أما يلزم التقـدم
فمثل أمافي العلى فأسعد
فهذه أمالها الجـواب
واقـسرن بسلام مخبرا عن مبتدا
وشذ لام مبتدا في ذا الخبر
وفي لأنـت يوسف فلنعتبر
وأخـروا لامالها الصـداره
شاهدها خالي لأنـت قدموا
وقدموه أول الأمنـال
واختلفوا في ما ومن اعرابا
فقال شيخنا المهاجي مبتدا
وذلك بعد مكتـف و لازم
وقال مبتدا لنكر المسند

عن نادري نقلتها اللقائده
وجهـد رأي زد سواء أفهما
صباح أي فالزموا ما حددوا
في دارها نار وعندنا مـدى
ما عادل إلا إمام مهتـدى
كأنما في الدار سامي يسري
فالجر يبدو بعدما وإنما
يكون حتما خبرا مقدما
إن كان جـرا مسندا لتعلموا
وشايف عكاشة وأحمد
والخبر المقدم الصواب
نحول لقائـم رضي في المنتدى
لصادق أنت فصـادق خبر
لأنـت مبتدا ويوسف خبر
وحقها تقدم في ذي العبارة
ما حقه تأخر فأبهموا
في كل وأد بوسعيد - خال-
كن واثقا بنـي لا ارتياجا
أو خبر مقدم قد أسندا
في شرح شيخنا المهاجي العالم
أو خبر لعرفه به اقـتـد



- 13- أنيس الجليس، الورقة 15 ظ.
- 14- أنيس الجليس، الورقة 1 ظ.
- 15- أنيس الجليس، الورقة 3 و.
- 16- أنيس الجليس الورقة 5 و، 5 ظ.
- 17- أنيس الجليس، الورقة 58 ظ.
- 18- أنيس الجليس، الورقة 44 ظ.
- 19- أنيس الجليس، الورقة 7 و.
- 20- أنيس الجليس الورقة 41 و.
- 21- أنيس الجليس، الورقة: 25 ظ.
- 22- أنيس الجليس، الورقة 57 ظ.
- 23- أنيس الجليس الورقة 25 و.
- 24- أنيس الجليس، الورقة: 41 و.
- 25- أنيس الجليس، الورقة 44 و.
- 26- أنيس الجليس، الورقة 18 و، 18 ظ.
- 27- أنيس الجليس، الورقة 28 ظ.
- 28- أنيس الجليس، الورقة 28 ظ.
- 29- حقق هذا الشرح وقدم له نصر الدين براشيش، ونال به درجة الماجستير من معهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر.
- 30- أنيس الجليس، الورقة 31 و.
- 31- ينظر أنيس الجليس، الورقة: 31 ط - 33 و
- 32- ينظر كمال أبوديب، الأدب العجائبي والعالم الغرائبي، دار الساقبي (لندن).